

اقليم جبل لبنان

[كثر الاقبا على الاصطيف في ربوع لبنان قرأينا ان نشر هذا الفصل المتح عن اقليمه وهوائه منقولاً عن كتاب قيم في احواله وضعه علماء بيروت ولبنان في اواخر الحرب الكبرى برعاية متصرفه حينئذ اسماعيل حتي بك]

علم خصائص الاقليم أو علم هواء البلاد ويعبر عنه في اللغات الاجنبية بلفظة « كليماتولوجية » يشمل وصف الاقليم وتقرير أسبابه الخاصة وتأثيره في حياة النبات والحيوان وعلاقته بقوى الانسان الجسدية والعقلية والادبية وما ينتج عنها من الاعمال واقليم البلاد او جزء منها عبارة عن متوسط قيم الاحوال الجوية او معدلاتها واهمها الحرارة ثم الرطوبة التي يدخل تحتها البخار المائي والنيوم والمطر ثم الريح والمواسف أما ضغط الهواء فليس من الامور الاساسية ولكنه يدل على هبوب الريح وبنية بنوعها وجهة سيرها . والاقليم يختلف عن الطقس بكونه اعم لان الطقس عبارة عن الاحوال الجوية لمكان ما في وقت واحد ويبدل عليه بالاعداد التي تدونها بالآلات الميتيورولوجية اللازمة لذلك في وقت ما فهو لذلك متغير دائماً بين ترمي الاقليم ثابتاً لمدة من السنين وربما لاجيال عديدة . ويبدل عليه معدلات الارصاد المذكورة

وقد اهتم علماء الميتيورولوجيا أولاً بدرس المعدلات السنوية التي تتوقف على الارصاد اليومية (وهذه الارصاد تؤخذ ثلاث مرات يومياً) وأحلوها المحل الاول اكنهم عدلوا عن ذلك مؤخراً وجعلوا المقام الاول لمعدلات ارصاد الفصول وخصوصاً الدال منها على أعلى درجات الحرارة وأقلها ومعدلات اعظم مقادير المطر الهاطلة وأقلها وكيفية توزيعها على مدار السنة . والارصاد اللازمة لمعرفة المناخ يجب ان تشمل للامور الآتية : —

الحرارة — المعدلات الشهرية والسنوية ومعدلات اعلى الدرجات وأقلها مع ذكر القيم المتطرفة ومعدل الفرق اليومي ومتوسط تواريخ اول الصقيع وآخره . ومعدل الاوقات التي تكون فيها الشمس مشرقة وكميتها . ومعدل حرارة التربة لاعمق متتابعة حتى تبلغ المترين

الرطوبة — معدل الرطوبة المطلقة والنسبية لكل شهر ومعدل التبخر والنيوم

والمطر الساقط شهرياً وشتوياً والأيام الماطرة والثلجة وعمق الثلج وأول اوقات سقوطه وآخرها

الارياح — جهة هبوبها لكل شهر ومعدل السرعة . ويشترط أن تتناول اوقات الارصاد عدة سنين لتكون معدلاتها اقرب الى المتوسط الحقيقي وتستمر متابعة دون تقطع البتة والا فالمدول عنها اولى اذ لا قائدة منها متقطعة

والاقليم مرتبط بامور كثيرة منها العرض ونسبة انتشار اليابسة (الارض) وسطح المياه والارتفاع فوق سطح البحر وسلاسل الجبال وما يتخللها من الاودية وهوية سطح الارض من حيث نوع التربة والحضرة النابتة عليها ووجود الغابات واتساعها وما شابه ذلك

اما لبنان من حيث الاقليم فيقع في المنطقة المجاورة للمنطقة الحارة ومن اشهر مميزاته جفاف الهواء ولطف الحرارة في الصيف الجليل البهيج وكثرة الفيوم والامطار في الشتاء . فبعده الكافي عن خط الاستواء يقيه للتحملات الحرا المحرقة الخاصة بالمنطقة الحارة وموقعه بالنسبة الى اليابسة وسطح البحر الواسع يعد عنه غارات البرد القارس المتسلط على المنطقة المعتدلة من جارتها المتجمدة . فاقليبه أجل وألطف اقليم على وجه الارض باجماع رأي العلماء

والبحت في اقليم لبنان وأحواله الجوية على طريقة علمية بالضبط والتدقيق متعذر (اذا لم يكن من باب المستحيل) الان وسببه أنه ليس هناك أرساد يمكن الرجوع اليها والاستناد عليها سوى قياس المطر في بعض الامكنة لسنين قليلة . فسداً لهذا الخلل اتخذت خلاصة الارصاد الجوية المدونة في سجلات مرصدنا الفلكي والبيورولوجي في بيروت^(١) ومدتها أربعون سنة بل أكثر . وجعلتها رائدي في البحث والكتابة بطريقة قياس التمثيل مستنداً على ما أتذكره من اختباراتي الشخصية في بلدي الشوير وما هو لدي من أرساد مرصد السكرارة في سفح الجبل في البقاع للآباء اليموعيين

بمرفق متصرفية لبنان ويكون القسم الاكبر منها اذا لم يكن كلها سلسلة جبل لبنان الغربي وطولها نحو من ١٨٠ كيلومتراً وأعلى قممها ظهر القضيبي فوق طرابلس وارتفاع أعلاها ٣١١٠ متراً فوق سطح البحر . ومعدل ارتفاع القسم الشمالي من

(١) الكتاب من أساندة الجامعة الاميركية بيروت

هذه السلسلة على مسافة ١٦ كيلومتراً ٣٠٠٠ متر وفي الستة عشر كيلومتراً التي تليها من ٢٢٨٦ الى ٢٤٣٨ متراً ثم الى مسافة اثنين وثلاثين كيلومتراً يهبط المعدل فيختلف من ٢١٣٠ الى ١٩٨٠ متراً . ثم يأخذ بالارتفاع تدريجياً حتى يبلغ في قمة جبل صنين ٢٦٥٠ متراً وتنخفض الجبال بعد صنين الى ١٨٣٠ متراً ثم ترتفع أيضاً في جبل الكنيسة فوق حمانا الى ٢١٠٠ متر وبعده تهبط الى ١٥٢٠ متراً في خان مزهر حيث تمر طريق سكة الشام . أما جبال الباروك والمعاصر وطولها ٦٤ كيلومتراً فطولها ١٩٨٠ متراً ثم تومات نبحا وآخر الشكل جبل الريحان الذي يهبط بالتدريج الى الليطاني

ويتخلل هذه السلسلة عدد من الأودية العميقة وطبقاتها مائلة الى الغرب ولذلك تكثر فيها الينابيع العذبة وجداول أميهه والأنهر بين ان الجهة الشرقية تتحدر بقية الى البقاع فلا يتكون فيها واد جميل منبسح سوى وادي زحلة فياه هذه الجهة قليلة بالنسبة لياه الجهة الغربية

ويكثر في القسم الشمالي من السلسلة أي من جبال ظهر القضيبي حتى جبل الكنيسة وجود منخفضات محروطة اشكل متسعة وعميقة تتراكم فيها الثلوج مدة الشتاء وتبقى في القسم الاكبر منها على مدار السنة فتصبح خزانات لياه الينابيع والأنهر اذ يذوب الثلج عنها بالتدريج ويجري الى أسفلها متطرقاً الى الاحواض المتكونة في قلب الجبل وعلى انتظام توزيعها يتوقف خصب الاراضي وجودة المزروعات

وسبب وجود السلسلة المذكورة تقسم لبنان من حيث الطو الى ثلاثة أقسام الساحل والواسط والسرود (الجرود) . فمناخ الساحل بأحواله الجوية يشبه المنطقة المجاورة للبحارة ومناخ الاواسط يشبه المنطقة المتدلة ومناخ الجرود يشبه جبال الالب ويرده يترب من بردها . ونقسمه بالنسبة الى وجهته الى قمين الوجهة الغربية أو البحرية والوجهة الشرقية . فالغربية توازي البحر المتوسط وهواؤها لطيف منعش وفي الغالب ثابت ومستدل . أما الوجهة الشرقية فتختلف عن الغربية اختلافاً يئناً فهواؤها جاف متغير كهواء داخلية البلاد

ولبنان في جميع اقسامه على الغالب فصلان فصل الشتاء وفصل الصيف والاحرى فصل الامطار وفصل الجفاف اما الفصلان الباقيان اعني الربيع والخريف قلما يشعر بهما سوى في الجرود

وكما ان وجود الأنهر ومجاريها يتوقف على وجود الجبال كذلك يتوقف سقوط المطر وتوزيعه . وما ان الارباع الغربية والجنوبية الغربية تمر فوق سطح البحر المتوسط

وتكون مشبعة بالبخار المائي في اثناء مرورها على الجبال تبرد وتسكب البخار نظراً وخصوصاً على الواجهة البحرية ومقدار المطر يزداد بالتدرج كلما زاد العرض والمواي كما ارتفعت شمالاً من قضاء جزين حتى تبلغ اعلى القسم بالقرب من طرابلس وهذا ظاهر في جدول مقياس المطر . فالمطر في بيروت اكثر منه في صيدا وفي الشوهر اكثر منه في عيذاب وأعتقد انه في الجرود الشمالية اكثر منه في اي مكان آخر

اما بداية فصل الامطار في اواسط تشرين الثاني (نوفمبر) او اواخره ونهايته في اواخر آذار (مارس) وفي الغالب يسبقه ويتبعه ايضاً شهر فيه تقع امطار خفيفة . وأنزور الامطار تسقط في ديسمبر ويناير وفبراير وبما أن القسم الاكبر من البخار المائي يسقط مطراً على الواجهة الغربية فالباقي يقع في الجهة الشرقية وقد يبقى منه مقدار قليل يقع على جبل لبنان الشرقي والبلاد الداخلية . فالمطر في زحلة اقل بكثير منه في المسكان المقابل له في الجهة الغربية

وبما ان الحرارة تتوقف على الارتفاع او العلو اكثر مما تتوقف على العرض فهي كما ذكرنا سابقاً تختلف من الطقس الحار في السواحل الى ما هو معتدل في الاواسط ثم الى البرد في الجرود . ومعدل الحرارة مدة الصيف في بيروت قبل الظهر بساعتين ٢٩° بمقياس ستنكراد في الظل ومع انها ليست حرارة عالية لكن الهواء يكون مشبعاً بالبخار المائي ودرجة تكون الودي واطئة فيشعر بالحرارة كما لو كانت اعلى من ذلك بكثير . ويقابلها في الوقت نفسه في الجبل على علو ٧٦٠ متراً فقط ٢٥° ولجفاف الهواء لا يشمرها كما في الساحل حتى ولو كانت في (الساحل) اقل من ذلك بكثير . وفي الجرود العالية درجة الحرارة اقل من ذلك بكثير . اما في الشتاء فدرجة الحرارة ١٤,٥° في الساحل ولذلك لا يحتاج الاهالي في الغالب الى الوقود لمجرد التدفئة ولكنهما تهبط كثيراً كلما ارتفعت في الجبال حتى تبلغ درجة التجليد ويكثر الصقيع ويسقط الثلج وتكثر عواصفه فتفسد الطرقات ويهلك عدد ممن يصون فريسة للزمهرير على الطرقات المؤدية للبقاع ويضطر السكان لاضرام النار للدفء ولبس الملابس الصوفية اللازمة لذلك . ولكن اهل اليسار يتكفون اوطانهم ويقصون السواحل لاجل تفضية الشتاء هرباً من برده القارس كما يفعل اهالي اهدن وبشري وحاصرون لان الحرارة في السواحل عالية وبالجهد تبلغ درجة التجليد والثلج لا يسقط الا نادراً ولكن يظلب سقوط البرد في شهري شباط واذار (فبراير وماوس)

ذكرت ان الحرارة تكون في الظل ٢٩° مدة الصيف ولكنها في الوقت نفسه تكون في الخارج ٩٣° او ٩٥° لان اشعة الشمس المحرقة تنصب على الارض وقتاً طويلاً ويندر جداً وجود غيوم في الجو تعيقها وتلطّف حرارتها.

وسقوط المطر في فصل الصيف أندر من النادر كما هو ثابت من سجلات مرصد الجامعة الاميركية وأرصاد الدكتور كارلسو في الشوير . ولكن يكثّر وجود الضباب في لبنان وسببه ارتفاع الجبل كجدار صخري عظيم يقوم كحاجز في وجه البخار المائي المتصاعد من سطح البحر محمولاً بالارياح الغربية الحارّة الى الداخلية لتقوم مقام هوائها الذي يتمدد بالحرارة ويرتفع الى طبقات الجو العالية . وعند هذا الجدار تتكاثف الغيوم التي ترى في أعالي الجبل بين ٧٦٠ و ٢١٥٠ متراً والضباب يتكاثّر في بعض الجهات كعاليه وصوفر وكفيا وقسم من مهبور الشوير . فيتصاعد اليها في كثير من أيام السنة وليس سببه علوها فقط بل موقعها أيضاً بالنسبة الى الجبل والى الاودية المحيطة بها وتكون فيها درجة الرطوبة أقلّ بقليل من درجاتها في بيروت والساحل ولكن في غير مراکز قلما يظهر الضباب مدة الصيف ولذلك تكون أكثر جفافاً ودرجة الرطوبة فيها قليلة جداً ولكنها كافية لتجمل الهواء مقبولاً ومنعشاً للاجسام أما الارياح فتهب في جميع الجهات ولكن الغالب فيها الجنوبية الغربية ثم الغربية فالجنوبية. وفي ابريل وأوائل مايو يشهد هبوب الرياح الشرقية (الشرقية أو الشلوقة) وبالطبع يصبحها جفاف نادر فترتفع الحرارة كثيراً وتهبط درجة الرطوبة النسبية الى أقلها فتضيق الانفس ذرعاً . وهي في الجبال أصعب منها السواحل لوجود البخار المائي ولو بمقادير قليلة ولكنها لا تدوم كثيراً ويعقبها في الغالب مطر فتنتعش الانفس وتنتشرح الصدور ونحيا النباتات . وقد ذكرنا سابقاً ان الارياح الجنوبية الغربية والغربية تندفع البخار المائي الى نواحي الجبل فيتحوّل الى مطر ولذلك يكون مقدار المطر متوقفاً على معدل هبوب تلك الارياح وطول مدتها وشدها والمطر يسقط في الغالب رذاذاً فتحتصة القرية ونغزئه الى أيام القيظ وبعض الاحيان ينهال كسحب شديدة جارفة فيجرف التربة ويسبب أضراراً قد تكون في بعض الاحيان جسيمة

ومن المقرر ان الارياح منقلبة ولكن درجة ثقلها وانبرها ليست عظيمة ثم يتبعها في التغير والتقلب مقدار المطر ولكن درجة الحرارة أثبت وأنظم بكثير فان

تغيرها وتبدلها قليل جداً في الشهر الواحد . والفرق بين المعظم والأقل ليس كثيراً خلافاً لما هو معلوم في سائر البلدان . وقد ذكر لي المرحوم الدكتور بوست انه شاهد بيته ميزان الحرارة يدل على فرق ٣٦ درجة في يوم واحد في مدينة نيويورك بيد ان هذا الفرق او ما يقاربه لا يحصل معنا في بيروت الا اذا اخذنا الفرق بين حرارة أحرّ يوم في أحرّ صيف وأبرد يوم في أبرد شتاء لعدد من السنين . والفرق بين حرارة النهار والليل نحو ٦° وفي الغالب اقل . وارتفاع الحرارة من وسط الشتاء الى وسط الصيف في الغالب متدرج وثابت وقلما يحدث فجأة وكذلك هبوطها من وسط الصيف الى وسط الشتاء . والبارومتر يمتشى على خطة ميزان الحرارة فتقلبه معتدل وأطرفه قليل

اما نقاوة الهواء وصلاحتة للصحة وصفاء الجو في لبنان فذلك امر مشهور لا يحتاج الى وصف . فهو جيد جداً منحصن للقوى ويجعل الاقليم لطيف جداً ومعتدل للغاية مع تغيرات واختلافات كافية لتقوية البنية الجدية وجعل الكنان اشدها فضلاً عن انها تساعد على تربية اخلاق فاضلة وصفات حميدة امتاز بها سكان الجبل . وبما ان الحرارة كافية لتبني عن الوقود في السواحل ايام الشتاء وعن نفقات ملابس خصوصية لاشهر الصيف الطويلة فهي صالحة لسكنى عدداً كبير من الناس بالنسبة اميرها من من الاماكن التي يضطر فيها الكنان لاستحضار الوقود والثلثيات زد على ذلك ان الاحوال تساعد النبات ايضاً على النماء فينمو فيها ما يحتاج الى رطوبة وما هو في غنى عنها حتى انك لا ترى شبراً من التربة الا وفيه شيء مفيد للانسان اما مباشرة او بالواسطة

بقي علي ذكر امر واحد اختتم به كلامي وهو الغابات والاحراج في لبنان فانها قليلة جداً والحيلال من اولها الى آخرها تقريباً جرداء يسلك فيها السالك ساعات لا يرى شجرة ترمي ظلاً او تمسك تربة . فلو كانت الحالة كما ينبغي لئن تكون لا على ما هي عليه الآن لكانت البلاد أحسن بقاع الله ماء وهواة وجبالاً ولاعتدلت فوق اعتدالها فصولنا فكان صيفنا أعلّ هواة والطف حراً واقل جفافاً والطررد شتأؤنا فكان أكثر مطراً وجاء الباكر منه والمتأخر في أوانهما معتدلين لا طوفاناً يحرف التربة جرفاً ويحرب السواحل تخريباً ولا رذاذاً أو ظلاً لا ينفع صدى ولا يروي لارض غليلاً